جامعة محمد بوضياف . المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مقياس:علم المخطوط العربي

موجه لطلبة السنة أولى ماستر / تخصص تاريخ الغرب الإسلامي

د/ عبد الغني حروز

المحاضرة رقم (01):

علم المخطوط وصناعة الكتاب.

تحتل دراسة التراث العربي الإسلامي أهمية كبيرة عند كبار الباحثين والمحققين، ذلك أن الاهتمام الذي يعتمد في المقام الأول على دراسة أمهات الكتب من خلال النسخ الأصلية لها والتي حررها أصحابها بخط أيديهم، ومقارنة هذه النسخ ببعضها البعض للوصول إلى المضمون الأقرب إلى الكتاب الأصلي، فلم يكن المصدر التاريخي أو الجغرافي أو غيرهما من المصادر القديمة يكتب لمرة واحدة، بل كان ينسخ منه بخط اليد للعديد من النسخ لسد حاجة سوق الوراقة أو الإهداء أو لهدف تعلم الطلاب، لذا ظهر لنا علم قائم بذاته يعرف بعلم دراسة الكتاب المخطوط باليد، أو فيما يعرف باسم الكوديكولوجي[1].

1/ تعريف المخطوط:

لغة: جمع مخطوطات، مخطوطة، كتاب أو نص مكتوب باليد لم يطبع بعد، أما قسم المخطوطات: القسم الذي يحتوي على الكتب التي خطها القدماء بأيديهم

اصطلاحا:

يعرفه أحمد شوقي بنبين: بأنه دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية، كما يعرفه بقوله: الكوديكولوجيا هي دراسة كل أثر يرتبط النص الأساسي، وبالتالي بحث العناصر المادية للمخطوط إذن هو علم يهدف إلى دراسة كل ما هو مكتوب في الهوامش من شروح وتصحيحات، وما إلى ذلك من معلومات عن الأشخاص الذين تملكوه أو نسخوه أو قرأوه أو استعملوه أو وقفوه، ثم الجهة التي آل إليها والمصدر الذي جاء منه ثم العناصر المادية المتعلقة بصناعة المخطوط من ترتيب و توريق وترقيم وغير ذلك من وضع تاريخ وفهارس وقوائم وكشافات له

أما قاسم السامرائي فيعرفه: بأنه علم دراسة الكتاب المخطوط وصناعته، بما في ذلك صناعة الأحبار و التوريق و النساخة والتجليد والتهذيب وصناعة الرقوق والجلود والكاغد وما يتبع ذلك من فنون

كما يعرفه جاك لومير من خلال موضوعه أنه: العلم الذي يدرس الكتاب المخطوط، أي علم آثار الكتاب، ومعنى ذلك أنه يهتم بدراسة مختلف مظاهر الصناعة المادية الأولية للكراس أو المخطوط

كما يعرفه أيضا : هو كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه مايزال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، أو أخذت عنه صورة فوتوغرافية أو أن يكون مصورا بالمايكروفيلم عن مخطوط أصلي

2/ صناعة المخطوط العربي:

إن المخطوط العربي كتاب، والكتب لا توجد في أمة من الأمم إلا إذا توافرت لها عناصر ثلاث هي: وجود كتابة وكتاب، ووجود مواد صالحة لتلقي الكتابة وتكوين الكتب، ووجود تراث يحرص الناس على تسجيله واقتنائه

- **الكوديكولوجيا:** مصطلح أطلقه كل من ألفونس دان و شارل سامران ، بينما علم دراسة المخطوطات هو لفظ مشترك من كلمتان ، الكلمة الأولى يونانية لوقوس[1] Logos التي تعني العلم، والكلمة الثانية لاتينية Codex كودكس والتي تعني الكتاب الرأسي المكون من كراسات، ظهر هذا العلم بشكل مستقل في منتصف القرن 20 م وهو مرحلة تالية بعد ظهور علم تطور الخط. (هي دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي أي بحث العناصر المادية للمخطوط).

2-1- العصر الجاهلي:

وإذا جئنا إلى الأمة العربية نجد أنه توفر لها العنصرين الأولين ولم يكن لهم تراث إلا الشعر. حيث كان العرب في العصر الجاهلي يكتبون على مواد مشتقة من صميم البيئة الصحراوية التي كانوا يعيشون فيها فكتبوا على **العسيب:** وهي أوراق السعف وجريد النخل وكذلك على **الكرانيف** وهي السعف الغليظ الملتصق بالنخلة مباشرة، كما كتبوا على الأكتاف والأضلاع ونعني بها عظام (أكتاف الإبل وأضلاع الغنم)، كما كتبوا على **القضيم** (هو جلد أبيض يكتب فيه) و**الأديم** (الجلد الأحمر المدبوغ وقد استعمل كثيرا)، كما كتبوا أيضا على **الرق** (يعني الطبقة الداخلية من جلد الماعز والغزال) وما يرقق من الجلود للكتابة عليه؛ كما كتبوا على **اللحاف** (هي حجارة بيضاء رقيقة) **والمهارق** (الأقمشة الحريرية الفارسية البيضاء كانت تسقى الصمغ وتصقل ويكتب فيها) كما كانت هناك أوعية أخرى للكتابة منها: الألواح والفخار

إذا العرب في جاهليتهم لم يكتبوا كتبا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، ولم يكن مفهوم الكتب يتجاوز عندهم مفهوم الكتب السماوية؛ وهذا لا ينفي معرفتهم بالكتابة واستعمالهم لها (عهود وأحلاف وصكوك الدين)

2-2- عصر الإسلام:

مع ظهور الإسلام بدأت طبقة جديدة تظهر في المجتمع العربي وتدور في فلك الرسول (ص) إلى جانب كتاب الوحي ومع انتشار الكتابة خشي الرسول (ص) أن يخلطوا القرآن بسواه في تلك الفترة الأولى من الدعوة، غير أن المهمة البارزة أنه لم يكن هناك توسع في الكتابة تحرجا وبدأ يزول تدريجيا هذا التحرج خاصة مع حركة التدوين في أوائل القرن 2 ه

أما عن المواد التي استخدمت للكتابة فقد بقيت الأوعية السابقة تستخدم في كتابة القرآن الكريم والحديث والعلوم حتى في عصر الصحابة فاستخدم **القباطي** الأقمشة نسبة إلى المواد التي كان يستعملها أقباط مصر، واستخدم **البردي:** من الحاصلات الخاصة التي كانت تنبتها مصر، وكان يطلق عليها البردي المصري، القراطيس المصرية

وقد فرضت أوراق البردي نفسها على العرب وانتقلت بالكتابة العربية إلى مرحلة جديدة من مراحل نموها وتطورها، وظلت صناعة البردي في الدولة الإسلامية صناعة مصرية خالصة طوال ق 1 و 2ه وبذلك أصبح الكتاب العربي ملفا، أو بعبارة أخرى شريطا طويلا من البرديات. لصق بعضها ببعض بشكل طولي ثم تلف على بعضها وكانت العرب تسمي هذا الملف بالدرج

وتشير المصادر التاريخية في جمع زيد بن الحارثة القرآن الكريم مرتب الآيات بأمر من عمر بن الخطاب (ر) ثم تكرر الأمر في عهد عثمان بن عفان (ر) سنة 30ه عندما أمر بنسخ الصحف التي كانت عند حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف واختلف في عددها.

2-3- عصر بن أمية:

بدأت بواعث الإشفاق من اللحن في قراءة القرآن لأنه كان يصل إلى عقول المسلمين بطريق السماع ونتيجة لهذا قام أبو الأسود الدؤلي البصري (ت 69ه) بنقط المصاحف نقط إعراب وبظهور إعجام الحروف على عهد عبد الملك بن مروان

2-4- العصر العباسي:

يظهر الورق كمنافس للبردي، حيث حل محله وبدأت مطابخ الورق في الظهور وتوقف إنتاج البردي، ويرجع اختراع الورق إلى الصينيين في القرن الأول ه(85ه)، حيث أنه في منتصف القرن 2ه أسر العرب بعض الصناع الصينيين، عندما تمكن المسلمون من الاستيلاء على سمرقند سنة 751م، حيث كان دائما يوجد أفراد عائلات في الكثير من المدن الإسلامية عرفوا باسم كاغندي (3) فاستبقوا عددا من

أهل الصين من صناع الورق الذين قاموا بإطلاع العرب على صناعته؛ الذين كان لهم الفضل في تطوره وانتشاره في أرجاء الأرض خاصة على أيدي البغداديين الذين نقوا الكاغد مما كان يدخل في صناعته وتكوين عجينته في سمرقند ومدن الصين من ورق التوت والغاب الهندي والحشائش وصار الاعتماد أكبر في مادته الأولية على الكتان أو ربما القطن

- صاحب هذا التطور حركة التدوين في القرن 2ه فبدأ العرب يسجلون تاريخهم فظهرت كتب الحديث والتفسير والمغازي ثم كتب اللغة والشعر والتاريخ (الواقدي، إسحاق الموصلي، الجاحظ، الكندي، الرازي...) نماذج رائعة لكثرة الكتب وضخامة التأليف والترجمة، فظهرت خلال القرن 3ه أول مكتبة ضخمة في تاريخ العرب وهي بيت الحكمة (المأمون) ومنها بدأت المكتبات الخاصة والعامة.
- ومع القرن 4ه نجد مكتبتين مكتبة العزيز الفاطمي بمصر ومكتبة الحكم المستنصر الأموي بالأندلس
- كما صاحب هذا التطور ظهور أدوات جديدة لكتابة المخطوط العربي ومن أهم هذه الأدوات:
- **القلم:** الذي كان يصنع من السعف أو الغاب أو القصب، وقد تنوعت الأقلام العربية بتنوع المواد التي كانوا يكتبون عليها، ويستخدم من القلم* مادة للكتابة هي **المداد:** وهو ما يستعين به القلم للكتابة مثل الزيوت ومداد الكربون وغيرها.... أما **الحبر:** فيراد به اللون الذي يعطي للمداد للكتابة (يستخلص من مصادر نباتية وحيوانية)
- أما الدواة: (المحبرة) هي التي يكون فيها المداد، أما المدية(المبراة): هو السكين المستعمل في بري القلم
- أما المقط أو المعصمة: وهي قطعة صلبة من الحجارة أو الرخام يبري عليها القلم لاستواء البري
- أما المسقاة: هي آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في المحبرة وتسمى الماوردية وكانت تصنع من النحاس ويوضع فيها للماء ورد بدل الماء.
- أما المصقلة: وتستخدم لصقل الذهب، بعد استخدامه للكتابة أو الزخرفة وهي من النحاس أيضا.
- أما المرملة: وهي وعاء الرمل الذي تنشق به الكتابة
- أما المقلمة: وهي التي توضع فيها الأقلام ومن هنا يمكن القول أن أقلام الحبر الحديثة ذات الروائح العطرة المعروفة اليوم قد عرفها العرب سابقا
- الملواق: عود يحرك به المحبرة
- المنشاة: علبة حفظ اللصاق المستخدم في حفظ الحبر على الكتب
- المنفذ: ألة تشبه المخزر لحزم الورق و ثقبه
- الملزمة: الآلة التي تمسك رؤوس الورق لمنع انزلاقها.
- المفرشة: قطعة من القماش او الصوف تفرش تحت الاقلام
- الممسحة: لمسح بعض الاخطاء أثناء الكتابة
- المسن: ألبة يحد بها السكين (المدية)

هذا العرض للمواد المستخدمة في كتابة للمخطوط من حيث الحوامل (الأوعية) (ترتيب كراسات) ومن حيث أدوات النسخ والرسم يضاف إليه ما كان يقوم به الخطاطون والنساخ من **مراحل في صناعة المخطوط**:

1- تسطير وإخراج الصفحة: من خلالها يتم دراسة ضبط الأسطر و قياس أبعادها.
2- دراسة المخطوط: وتعني بدراسة الخط المستعمل في الكتابة وأشكال الكتابة وزخرفته.
3- تزويق الكتاب المخطوط وزخرفته: وهي دراسة أساليب الزخرفة والرسم والتزويق التي تم استعمالها في تجميل المخطوط واختلاف هذا التزيين بين الغلاف والصفحات الأولى وباقي الكراسات.

4- التجليد: وهي تعنى بحماية الكراسات المخطوطة من الخارج من التلف وقد استخدم فيه الورق والرق والنسيج والمعادن والخشب وغيره.

5- دراسة حرود المتن والتأريخ: وحرود المتن: هي بعض الفراغات التي يستفيد منها كاتب المخطوط بكتابة المعلومات من الكتاب مثل: تأريخه، ونصه، والسماعات أي عن من سمع المخطوط بجهة معينة، والإجازات وهي حق منح الرواية المسموعة، وعلامات التملك مثل الأختام تنسب الكتاب لصاحبه وغيرها من المعلومات وغالبا ما يكون الحرد في نهاية الكتاب المخطوط.

3/أساليب صناعة المخطوط:

أ- الملزمة: يراد بالملزمة في علم المخطوط مجموع الصحائف المندمجة التي يخطها المسفر في دفعة واحدة، فهي تشكل الوحدة الصناعية الأولى لكل سفر و تختلف تسمية كل ملزمة على الأخرى حسب عدد الصحائف فالتي يوجد بها صحيفتين مزوجتين تسمى ثنائية والتي تتكون من ثلاث ملزمات مزدوجة ثلاثية وهكذا.... تصل إلى ثمان صحائف فتسمى ملزمة بثمان صحائف

ب-المقابلة: كما أشرنا سابقا فإن الرق يختلف ظاهره على باطنه، فإذا وضع في الملازم بالترتيب وجدت صفحتين متقابلتين غير متناسقتين، لهذا لم يفوت هذا الأمر صناع الكتاب المخطوط فقابلوا أوجه الرق وواجهوا الأوجه المتشابهة

ت-الطي كأسلوب من أساليب صناعة المخطوط:

- الطي بقطع الربع: وذلك بتقسيم الجلد إلى أربع محاور فأربعة مربعات، يطوي إلى نصفين ثم يطوى كل نصف على الآخر فتكون النتيجة أربع ورقات
- الطي بقطع الثمن: وذلك بطي الرق إلى نصف ثم يقسم النصف إلى أربع أقسام فيطوى كل قسم على الآخر مرتين فتصبح النتيجة ثمان ورقات

4/ أنواع المخطوطات: هناك ستة أنوع للمخطوط العربي نوردها كالأتي:

- المخطوط الأصلي(الأم)
- المخطوط المنسوب
- المخطوط المرحلي
- المخطوط المبهم
- المخطوط المصور
- المخطوط المجاميع

5/ أهمية المخطوط العربي:

1. أهمية المخطوطات كبيرة جدا فعلم الأمة مدون فيها، ومدون فيها الوحي وتفسيره من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وشروحها وفقه الأمة، وعلم الأئمة وتاريخها ولغتها وغير ذلك.
2. خدمة النص المخطوط الذي نقوم بتحقيقه ونستخلص منه النظريات والأحكام بواسطة علم الكوديكولوجيا.
3. الإجابة عن عدد من التساؤلات طالما حيرت الباحثين في مجال التراث فمثلا ما معنى الكراسة والكراس التي استعملت منذ بداية حركة التأليف. (10 ورقات/ كتيب/ 11 ورقة/ 08 ورقات).
4. كما أن دراسة المخطوط العربي كقطعة مادية ستمكن الباحثين من اكتشاف جانب من تاريخ العرب الحضاري مايزال مجهولا.
5. يمكن الباحثين في الفيلولوجيا وعلم المخطوطات من تأريخ ما هو غير مؤرخ من مخطوطاتنا العربية التي تعد بالملايين. (المخطوط العربي 88%/ اللاتين 11%، الباقي 1%).

6. كما يساعد علم المخطوط في تحديد الخطوط العربية تحديد باليوغرافيا علميا، لأن من بين مهام الكوديكولوجي الأساسية هو تاريخ المجموعات الخطية.
7. يساعد المختصين في المخطوطات على معرفة الأسباب التي دعت إلى ضياع هذا المخطوط أو ذاك كما تؤدي الكوديكولوجيا خدمة جليلة ليس لعلماء الفيلولوجيا ولكن للمؤرخين والبيبلواغرافيين ولمختلف الباحثين في مجلات أخرى